

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس ( ٢٣ ) : الحديث الشريف ( إِنَّ الْمُقْسِطِينَ  
عند الله على مَنَابِرٍ من نُورٍ..... )

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-٢١

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ،  
وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ،  
اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى  
جنات القربات .

### العدل أحد القيم الكبرى في الحياة :

أيها الأخوة الكرام ؛ الحديث الشريف اليوم هو قوله صلى الله عليه وسلم :  
( ( إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ - وَكُنَّا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدُلُونَ  
فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا ))

[أخرجه مسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

العدل أحد القيم الكبرى في الحياة .  
مرة ثانية :

### (( إِنَّ الْمُقْسِطِينَ ))

أي الذين يعدلون في أحكامهم ، وقد يقول أحدكم : أنا لست قاضياً ، من قال لك إنك قاضٍ ؟  
الأب إذا ميز ولداً على ولد ، وصهراً على صهر ، وميز قضية على قضية وقع بالظلم ، أحياناً  
إنسان تزوج امرأة ثانية ، أولاد الثانية لهم كل شيء ، وأولاد الأولى ليس لهم شيء ، هذا ظلم  
كبير ، فالإنسان حينما يظلم يفقد الصلة بالله عز وجل ، لأن الله عز وجل كامل كمالاً مطلقاً لا  
يقبل إلا من كان عادلاً ، فإن المقسطين الذين يعدلون في أحكامهم :

( ( عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ - وَكُنَّا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدُلُونَ فِي حُكْمِهِمْ  
وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا ))

أي قد تكون أباً فقط لست قاضياً ، قد تكون زوجاً فقط ، فهناك العدل مطلوب من الجميع .  
الآية الكريمة دقيق :

### ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾

[سورة المائدة الآية : ٨]

أي لا يحملنكم .

﴿ شَنَّانُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا ﴾

[سورة المائدة الآية : ٨]

﴿ شَنَّانُ ﴾

الكرامية ، لا تحملك كراهيتك لإنسان على ألا تعدل معه ، الأمر الإلهي .

﴿ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾

[سورة المائدة الآية : ٨]

إن كنت عادلاً معه قربته مني يا عبدي ، وإن كنت عادلاً معه قربته منك .

((الظلم ظلمات يوم القيامة ))

[أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله]

العدل قيمة مطلقة مع كل الناس :

الآن :

((واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس]

وفي رواية أخرى .

((دعوة المظلوم وإن كان كافراً ))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله الأسدي]

العدل قيمة مطلقة مع كل الناس ،

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ ﴾

المؤمن من يكره ؟ غير المؤمن ، الكافر ، هذه الكراهية للكافر يجب ألا تحملك على أن تظلمه ،

﴿ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾

أي بعضهم فسر قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِيَّآ وَآرِدْهَا ﴾

[سورة مريم الآية : ٧١]

الهاء تعود على النار ، الآية عجيبة ، الآية فيها شمول ، أي ما منكم واحد إلا وهو يرد النار ، فإذا جاء النفي مع الاستثناء هناك قصر ،

﴿ وَإِنْ ﴾

هي حرف نفي هنا ،

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِيَّآ وَآرِدْهَا ﴾

أي ما من إنسان على وجه الأرض إلا يرد النار ، لكن العلماء قالوا : ورود النار شيء ودخولها شيء آخر .

مثلاً بلد نام أنشأ سجنًا حضارياً ، وجاء وزير داخلية بريطانية لزيارة هذا البلد ، يؤخذ هذا الوزير إلى السجن هل يعد الوزير سجيناً ؟ لا ، هنا الورود غير الدخول ،

### ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ لَنَا وَارِدُهَا ﴾

لماذا ؟ هناك تعليق لطيف أن أسماء الله الحسنى كلها محققة في الدنيا إلا اسم العدل محقق جزئياً بمعنى أن الله يعاقب بعض المسيئين ردعاً للباقيين ، ويكافئ بعض المحسنين تشجيعاً للباقيين ، ولكن الحساب الختامي يوم القيامة ، يكافئ بعض المحسنين تشجيعاً للباقيين ، ويعاقب بعض المسيئين ردعاً للباقيين ، فلذلك الآية تقول :

### ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

[سورة المائدة الآية : ٨]

فلماذا يرد الإنسان النار يوم القيامة ؟ لأن أسماء الله الحسنى كلها محققة في الدنيا إلا اسم العدل محقق جزئياً ، فلا بد أن يرد المؤمن النار ليرى عدل الله المطلق ، حتى يرى بعينه عدل الله المطلق .

## حقوق العباد مبنية على المشاححة وحقوق الله مبنية على المسامحة :

أخواننا الكرام ؛ النبي عليه الصلاة والسلام حينما يموت أحد أصحابه يسأل- والسؤال خطير - عليه دين ؟ فإن قالوا : نعم ، يقول : صلوا على صاحبكم ، صحابي جليل غزا مع النبي وكان صحابياً متفوقاً ومع ذلك إذا كان عليه دين يقول : صلوا على صاحبكم ، مرة قال أحدهم غيراً على هذا الصحابي : يا رسول الله عليّ دينه ، فصلّى عليه النبي ، في اليوم التالي سأله لهذا الذي تعهد بأداء الدين ، أديت الدين ؟ قال : لا ، لم يتمكن أن يؤديه في اليوم الثاني ، سأله في اليوم التالي أديت الدين ؟ قال : لا ، سأله في اليوم الثالث أديت الدين ؟ قال : نعم ، قال : الآن ابترد جلده .

أخواننا الكرام ؛ أريد أن أقول لكم حقيقة مرة : نحن بأعماقنا نظن أن الإنسان إذا حج بيت الله الحرام رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، هذا الكلام يحتاج إلى توضيح ، رجع من ذنوبه التي كانت بينه وبين الله فقط ، وأما حقوق العباد فلا تغفر إلا في حالتين بالأداء أو المسامحة ، لا تقفوا بهذا الوهم ، هذا الوهم وقع به معظم المسلمين ، يأكل مالاً حراماً ، يقترض لا يرد ، ثم بعد ذلك يعمل حجة قبل أن يموت ، وكل وهمه السخيف أن الله غفر له كل شيء ، ما كان بينك وبين الله هذا هو الذي يغفر ، وما كان بينك وبين العباد هذا لا يغفر إلا بإحدى الحالتين أن تؤدي أو أن تسامح .

أخواننا الكرام ؛ هناك قاعدة دقيقة : حقوق العباد مبنية على المشاححة ، وحقوق الله مبنية على المسامحة .

أذكر إنسانة - أنا ليس من عادتي أن أروي قصصاً لكن هنا القصة مناسبة جداً- توفيت، ابن أختها رآها في المنام مرات عديدة ولسنوات عديدة تشتعل ناراً فبحث ودقق إلى أن وصل ، لكن مرة قالت له : الحليب يا بني ، فلها أولاد من صلبها ولها أولاد زوج ، أولاد زوجها كانت تقدم لهم نصف الكأس حليباً ونصفه الآخر ماء ، أما أولادها فالكأس بأكملها حليب ، أنا لا أبالغ والله البطولة أن تنجو من عذاب الله .

### (( الظلم ظلمات يوم القيامة ))

أحياناً يكون هناك تعدد لا يوجد مانع ، الله سمح به لكن الزوجة القديمة تدخل للبيت متجهماً ، لا يوجد ابتسامة ، ولا كلمة طيبة ، والجديدة الابتسامة العريضة والكلام اللطيف ، هذا ظلم ، لذلك العلماء عندما أكدوا أنه لا بد من أن تعدل بين الزوجتين، أن تعدل في الوقت ، وفي الإنفاق ، وفي البيت ، وبعضهم أضاف شرطاً رابعاً وفي المودة ، أي لو أنك لا تحبها كما ينبغي ، لكن يجب أن تقدم لها مودة لا تختلف عن ضررتها ، لذلك

### (( الظلم ظلمات يوم القيامة ))

والظالم محجوب عن الله عز وجل .  
الآن الحديث الشريف لصحيح مسلم .

### (( يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ ))

[أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

من هو الشهيد ؟ قدم أئمن ما يملك ، قدم حياته .

### (( يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ ))

[أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

لا يغفر ،

### (( يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ ))

الحديث في صحيح مسلم .

## القرآن الكريم لا يزيد عن أنه أمر أو خبر

الآن كأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبين أن كلمتين تحرمان العلاقة بين الله وبين عباده ، والآية تقول :

### ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١١٥]

أي هذا القرآن فيه بعض التأويلات ، هذا القرآن لا يزيد عن أنه أمر وعن أنه خبر ، فالخبر صادق والأمر عادل ، القرآن من دفته إلى دفته ، إما أمر أو خبر ، الخبر صادق والأمر عادل ، وفي تفسير آخر للآية

## ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾

كأن الله يقول لنا : يا عبادي بيني وبينكم كلمتان ، منكم الصدق ومني العدل ، أي تتفاوتون عندي بالصدق ، وأنا أعدل بينكم .

لذلك دخل النبي الكريم على بيت أحد أصحابه الذين توفاهم الله واسمه أبو السائب فسمع امرأة من وراء الستار تقول له وهو ميت : هنيئاً لك أبا السائب لقد أكرمك الله ، الآن النبي حالة خاصة، النبي أقواله سنة ، وأفعاله سنة ، وإقراره أي سكوته سنة ، فلما سمع هذه المرأة تقول: هنيئاً لك أبا السائب لقد أكرمك الله ، لو بقي ساكناً لكان كلامها صحيحاً ، قال : " وما أدراك أن الله أكرمه قولي أرجو الله أن يكرمه وأنا نبي مرسل لا أدري ما يفعل بي ولا بكم " .  
أخواننا الكرام ؛ البطولة الأولى أن تتجو من الظلم ، والظلم أنواع لا تعد ولا تحصى ، هناك الظلم بين الزوجات ، بين الأبناء ، هناك ابن يكون ذكياً وله لسان لطيف يأخذ ثلثي ثروة والده والثاني محروم ، فالعدل ليس له علاقة بالمحبة .

## الذنوب و أنواعها :

الآن ليس من عبودية الإنسان أن يحكم على المستقبل ، أنت تستطيع أن تقول : أنا الآن أما غداً فمستحيل ، إلا أن هناك ملاحظة دقيقة والحديث عن الذنوب ، هناك ذنب لا يغفر وهو الشرك بالله ، وذنب يغفر ما كان بينك وبين الله ، وذنب لا يترك ما كان بينك وبين العباد ، فالذي بينك وبين الله مغفرته سهلة ، الصلحة بلمحة ، يا رب لقد تبت ، عبادي وأنا قبلت .

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

## جَمِيعًا﴾

[سورة الزمر الآية: ٥٣]

هذا الذنب الذي يغفر ما كان بينك وبين الله ، أما الذنب الذي لا يترك فما كان بينك وبين العباد ، لأن حقوق العباد مبنية على المشاححة ، وحقوق الله مبنية على المسامحة ، إذاً هناك ذنب لا يترك ما كان بينك وبين العباد يغفر بالأداء أو المسامحة ، وذنب يغفر ما كان بينك وبين الله ، أما الذنب الذي لا يغفر فهو الشرك .

حتى أوضح بمثل : لو أن بلداً فيه قطار ، والقطار ما بين عمان إلى العقبة مثلاً ، فأنت قطعت بطاقة من الدرجة الأولى ولعدم خبرتك بالقطارات ، ركبت بغرفة أو بعربة من الدرجة الثالثة هذا خطأ ، هناك ضجيج و شباب غير ملتزمين أزعجوك في الطريق ، ممكن أن تركب القطار بعكس اتجاهه تصاب بالدوار خطأ ثان ، ممكن أن تكون في القطار غرفة طعام وأنت جائع لكنك لا تعلم هذا خطأ ثالث ، يمكن أن ترتكب عشرات الأخطاء ، لكن القطار سيصل إلى العقبة والمبلغ سوف تأخذه هذه الأخطاء تغفر ، أما أن تركب قطار دمشق لا يوجد شيء بالشام ، بعكس الاتجاه

المطلوب ، أي إذا الإنسان توجه إلى غير الله ذنبه لا يغفر ، أما مع الأخطاء توجه إلى الله فالله يغفر .

### من طبق سنة النبي فهو في مأمن من عذاب الله :

طبعاً الله عز وجل قال :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[سورة الأنفال الآية : ٣٣]

ما دامت سنة النبي قائمةً في حياتهم هم في مأمن من عذاب الله ، لكن حينما يصطلحون مع الله

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

أي ما دامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم قائمةً في حياتهم ، هم في مأمن من عذاب الله ، وهذه الآية قطعية الدلالة ، لا تصدق أن ينزل بلاء بلا سبب ، القاعدة الأصولية العقدية : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا يرفع بلاء إلا بتوبة ، نحن أحياناً نقول كلاماً خلاف التوحيد ، والله فلان لا يستحق هذا أي الله غلطان معه ؟ قل : الله أعلم ، أظنه صالحاً ولا أزكي على الله أحداً ، هذا الكلام المؤدب مع الله ، أظنه صالحاً ولا أزكي على الله أحداً .

فذلك هناك إنسان عنده مزرعة غالية جداً ثمنها ثلاثة ملايين ، لزمه ثلاثمئة ألف فعرض المزرعة أن تسجل باسمه كرهن فإذا أدى الدين يرد هذا الرهن ، هناك إنسان أقرضه ثلاثمئة ألف وأخذ المزرعة ، شيء جميل ، مزرعة كبيرة فيها مسبح ، انقلبت حياته قلباً بهذه المزرعة ، فبعد سنتين أو ثلاث صار هذا المدين معه المبلغ ، ذهب للدائن ليقدمه له قال له : كل واحد منا حقه معه ، أي اغتصب المزرعة بثلاثمئة ألف وثمانية ملايين ، فهذا صاحب المزرعة من شدة ألمه أصابته جلطة ومات ، قبل أن يموت أوصى ابنه ، بيته بأحد أحياء دمشق الشمالية ، وهذا الذي أخذ منه القرض بيته في أحد أحياء دمشق الجنوبية مسافة طويلة جداً ، أمر ابنه أن يمشي بالجنابة من بيته إلى بيت صاحب الدين وأن يقدم رسالة ، قدم له هذه الرسالة وهي كما يلي : أنا ذاهب إلى دار الحق فإن كنت بطلاً لا تلحق بي .

أنا أرى أخواننا الكرام ؛ ذكواؤك ، بطولتك ، توفيقك ، نجاحك ، سعادتك كل هذه الكلمات أساسها طاعة الله عز وجل ، فأنت استقم كما أمرت ولا تخف .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ \* نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ \* نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴾

[سورة فصلت الآية : ٣٠-٣٣]

## بطولة الإنسان إنفاق الزمن على معرفة الله و طاعته و الدعوة إليه :

أخواننا الكرام ؛ الأمر جلل ، والوضع صعب ، والآخرة على الأبواب ، الإنسان يقول : أنا عمري أربعون عاماً كيف مضوا ؟ والله كلمح البصر ، يقول : البارحة كنت طفلاً في الابتدائي ، الآن عنده تجارة وعنده مكانة كبيرة ، فالأيام تمضي سريعاً ، فالبطولة أن تنفق الزمن في الحد الذي سمح الله لك به في العمل الصالح ، هنا تأتي الصورة الرابعة التي قال عنها الإمام الشافعي : " لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم " :

### ﴿ وَالْعَصْر ﴾

[سورة العصر الآية : ١]

أقسم الله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن

### ﴿ وَالْعَصْر ﴾

جواب القسم .

### ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر الآية : ٢]

أي مضي الزمن وحده يستهلكك .

### ﴿ يَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

[سورة العصر الآية : ٣]

أركان النجاة .

### ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر الآية : ٣]

هذه الكلمات الأربع أركان النجاة ، عرف الحقيقة

### ﴿ آمَنُوا ﴾

وتحرك وفقها

### ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

ودعا إلى الله ، هذه الدعوة إلى الله فرض عين ، سمع الدرس نقله لأخيه فقط .

### ﴿ (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) ﴾

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

### ﴿ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

على معرفة الله ، وعلى طاعته ، وعلى الدعوة إليه .

## والحمد لله رب العالمين